

بئر زمزم في الحديث النبوي الشريف وأصل اشتقاقها
Zamzam Well in the Hadith of the Noble Prophet and the
origin of its derivation

Prof. Dr. Khadija Zabar Al-Hamdani

Department of Arabic Language, College of Education, University of Baghdad, Iraq

Email: khadija0zabar@yahoo.com

ORCID: <https://orcid.org/0000-0001-7431-3438>

Dr. Abu Bakr Bhutta

Assistant Professor, Department of Arabic, NUML, Islamabad.

Email: mabhutta@numl.edu.pk

ORCID: <https://orcid.org/0000-0002-0751-1378>

ABSTRACT:

Praise be to Allah, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon our Holy Prophet Muhammad ((May God bless him and grant him peace)) and his family and companions altogether.

This topic is one of the important topics that deserve research and investigation, in order to reach an important conclusion regarding the derivation of the word ((Zamzam)), and its original meaning in speech. Because many people misconceived that the origin of the word goes back to ((Zamzam of the Magians)) and that it is not from ((Zamzam of the Arabs)), and in addition to this, that the word did not appear in the Holy Qur'an, but rather its occurrence was confined to the hadith of the Prophet. Therefore, my choice fell on the hadith of the Prophet, and linked that to Islamic history and traditions, to get the desired goal of that, to nullify the illusion that stuck in the minds of many, and to validate the well's proportion.

The nature of the research necessitated that it be in two sections:

The first topic: - The derivation of the word ((Zamzam)).

The second topic: - The source of the story ((Zamzam)) in the hadith of the Prophet and Islamic traditions.

Keywords:

Zamzam, Derivation, Well, Traditions, History, Hadiths, Islamic.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ((ﷺ)) وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.
فإن هذا الموضوع يعد من الموضوعات المهمة التي تستحق البحث والتقصي، للوصول إلى نتيجة مهمة تخص، اشتقاق كلمة ((زمزم))، ومعناها الأصلي في الكلام. لأن كثيرا من توهم أن أصل الكلمة يعود إلى ((زمزمة المجوس)) وأنها ليست من ((زمزم العرب))، فضلا عن هذا أن الكلمة لم ترد في القرآن الكريم وإنما اقتصر مجيئها في الحديث النبوي الشريف. لذلك وقع اختياري على الحديث النبوي الشريف وربط ذلك بالتاريخ والتقاليد الإسلامية الوصول إلى الغاية المرجوة من ذلك، لإبطال الوهم الذي علق في أذهان الكثير، وصحة نسبة البئر.

اقتضت طبيعة البحث ان يكون في مبحثين:

المبحث الأول:- اشتقاق كلمة ((زمزم)).

المبحث الثاني:- مصدر قصة ((زمزم)) في الحديث النبوي والتقاليد الإسلامية.

المبحث الأول:- اشتقاق كلمة زمزم

ان مادة ((زم)) و ((زمزم)) واردة في العربية والسريانية والعربية على ما هو موضح على النحو الآتي:

1- العربية:

أول فحوى Zam الشد والجزم ، ومن باب المجاز جاء هذا اللفظ بمعنى :- تأمل ، عزم ، ارتأ.

Zamzam :- زمزم⁽¹⁾

2- السريانية

Zam :- شد ، زم ، طن ، رن ، صر ، حزم.

Zamzem :- زمزم، هدر، تراطن، آدار صوته في خيشومه وحلقه، دون تكلم، ذاع انتشار.

Zmama :- زمام، خطام، خراطة، شنف، خرط.

Mazmanita :- زمزمة، دوي، طنين..

Mzamezmana :- زمامة، مجوسي⁽²⁾.

3- العربية

ذكر الخليل في كتاب العين معنى ((زمزم)) واشتقاقها في الكلام "زم: فعل من الزمام، تقول: زممت الناقة أزمتها زما. والزمام: الحيط الذي في أنفها، والجميع: الأزمة، والعصفور يرم بصوت له ضعيف، والعظام من الزناير يفعلن ذلك. والذئب يذهب بالسخلة زاما، أي: رافعا رأسه، وقد ازدم سخلة فذهب بها. والزمزمة: تكلف العلوج الكلام عند الأكل والشرب من غير استعمال اللسان والشفة، ولكنه صوت

تديره في خياشيمها وحلوقها. والزَّمَزَمَة: الجماعة من الناس. وزمزم: بئر في مسجد مكة عند البيت. والرعد يززم ثم يهدد، قال:

هذا كهّد الرعد ذي الزّمازم⁽³⁾

جاء في اللسان أيضا "العربية: زم: شد، و - الرجل برأسه، والبعر بانفخه: رفع رأسه لألم به. و - القرية: ملأها فارتفعت، و - ناب البعير: نجم و - الزنبور: صوت الزم: اشتد الزمام: ما يزم به. وزمام النعل: سيرها الذي يشد به الشسع. زمزم الشيء: حفظه وجمعه ورد اطراف ما انتشر منه، وزمزم الشيء: سمع صوته من بعيد وله دوي. و - الرعد: صوت متتابع، و - الخيل حمحت، و - النار: سمع للهبها حسيس، و - شفتا الجمل: تحركتا. زمزمة العلوج: تراطنهم عند الأكل وهم صموت لا يستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم، لكنه صوت يديرونه في خياشيمهم وحلوقهم، فيفهم بعضهم على بعض. قال الجوهري: الزمزمة: كلام المجوس عند أكلهم. وفي حديث عمر: كتب الى عماله في أمر المجوس: ((وأنهم عن الزمزمة)). وأصل الزمزمة صوت المجوسي وقد حجا. ماء زمزم وزمازم: كثير. زمزم: بئر في مكة. ماء زمزم وزمازم وزوزم: إذا كان بين الملح والعذب⁽⁴⁾.

تطور معاني ((زم وزمزم))

نلاحظ في اللغات السامية الثلاث الوارد فيها هذا "البناء" يدل الثنائي ومكرره على "الشد" أولا في العمل، ومنه الحزم والربط، ثم الحفظ والجمع والحركة ثم النجوم وأنجاس الماء من العين. وإذا كان نوع الماء يصدر عنه صوت، جاء "زم" و "زمزم" بمعنى الصوت الخفي أو الصوت البعيد أو حسيس هيب النار أو حممة الخيل أو دوي الرعد، ثم صوت تكلم الإنسان أو ترنيمه، وأخيرا تخصصه لقبيل من الناس، وهم العلوج أو المجوس، أي كلامهم أو تراطنهم عن الأكل.

أن كلمة "زمزم"، على وزن "فعلل"، يعد هذا البناء الوحيد للفعل الراعي المجرد، ويأتي مصدره على وزنين بحسب القياس والسماع هما "فعللة أو فعالل أو فعلال"⁽⁵⁾، ومن معاني هذا البناء أنه يأتي لتكرير "الحدث" فقد أشار ابن جني في باب إحساس الألفاظ اشباه المعاني إلى أن المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والققعقة والصعصعة والجرجرة والقرقرة⁽⁶⁾.

وأرى أن معنى التكرار الذي يقصده ابن جني والذي حصل في هذه المصادر من خلال تكوينها من مقطعين، المقطع الأول يدل على صوت ويتبعه صوت آخر من المقطع الثاني.

ودلالة هذا البناء على التكرار يجعلنا أن نقول إن "زمزم" متكونة من مقطعين "زم" و "زم" واغلب معانيها كانت في اللغات السامية يدل تكرار الحدث. نتيجة تتابع مقطعين.

المبحث الثاني: - "زمزم" في الحديث النبوي والتقاليد الإسلامية

"زمزم" بئر قديمة ترجع الى زمن اسماعيل (عليه السلام). فان أمه هاجر لما نزلت به الى مكان البيت ظمى ولدها، وطلبت الماء فلم تجده. فجاء جبرائيل (عليه السلام) وبحث الأرض بعقبه - وفي رواية غمزها بعقبه - وكلتاها في صحيح البخاري - فنبع الماء على وجه الأرض. فكان ذلك نشأة "زمزم". وادارت هاجر عليه حوضاً، خيفة أن يفوتها الماء قبل أن تملأ قربتها. قالوا: لو تركته، لكانت زمزم عينا تجري على وجه الارض (7).

طبقاً للحديث والتقليد الإسلامي، يرتقي أصل بئر زمزم إلى اسماعيل، وهاجر حصرت ماءه الذي انبثق بغمز عقب جبرائيل. وهي بئر مكربة منذ القديم، احترمها الجرحميون، واعتبرها الفرس في الجاهلية. إذ يقول شاعر منهم إن ساسان بن بابك جد الأسرة الساسانية (التي حكمت من سنة ٢٢٦ - ٦٣٢ ب.م.) زار هذه البئر، وعلى رأي المسعودي ليس الجرحميون طمروا البئر، ودفنوا فيها كنوزهم، بل الفرس (8).

أما البتوني فيورد آياتاً لشاعرهم بعد الاسلام:

وما زلنا نحج البيت قدماً
ونساسان بن بابك سار حتى
ونلقى بالاباطح أمنينا
فطاف به وزمزم عند بئر
اتى البيت العتيق يطوف دينا
لاسماعيل تروي الشارين

وقال غيره :

زمزم الفرس على زمزم وذاك من سالفها الأقدم (9)

وحسب رأي البتوني المذكور، أن الاعراب يكادون يلصقون "زمزم" بنفس اركان الحج. وان الواحد منهم إذا حلف يقدم "زمزم" على مقام ابراهيم فيقول: "والبيت الحرام وزمزم والمقام، فعلت كذا" بيد أن الغريب ان لا ذكر "لزمزم" في جدول مناسك الحج على المذاهب الأربعة (10).

"وللحجيج اعتقاد كبير في ماء "زمزم". وأما طعمه فيقع في اذواق الناس على نسبة اعتقادهم. فمنهم من يجده حلواً كالعسل، وغيرهم يرى خلاف ذلك. قال المعري:

تباركت أنهار البلاد سوانح بعذب، وخصت بالملوحة "زمزم"

وبالحقيقة ان أهل مكة، لا سيما في غير موسم الحج، لا يشربون منها لملوحتها، أي لكثرة ما فيها من الصودا والكلور والبوتاس (11).

بعد سرد هذه النصوص علينا تمحيصها، فنتسأل بادية بدء، إلى أي من هذه المعاني الواردة أعلاه يخلق بنا منطقياً أن نعزو أصل زمزم. إلى زمزمة الفرس، أم إلى زمزمة العرب؟ أما رأينا الخاص فهو أن أصلها من "زمزم" العرب، ولا من "زمزمة" الجوس.

أولاً: أن بئر "زمزم" كانت موجودة في بلاد العرب ومعروفة بهذا الاسم، قبل منشأ الدولة الساسانية التي كان مؤسسها الحقيقي، طبقاً للتاريخ الصحيح، الملك اردشير الأول من القرن الثالث ب. م. (12)

ثانياً: أن الشواهد الشعرية الواردة اثباتاً لذلك وضعت بعد إسلام الفرس، وباللغة العربية.

ودون ذكر اسم من قالها. والحال أن العيني يقول في عمدة القارئ، وهو تفسيره لصحيح البخاري "ان الفرس، بعد إسلامهم، بغية منافسة العرب، حاولوا إثبات التقليد الذي به يدعون أنهم من ذرية إبراهيم. ولهذا يزعمون أن ساسان بن بابك كان قد زار الكعبة، وهو الذي طمر البئر المذكورة أسيف والزمزم. ومن هنا جاءت تسمية البئر "زمزم" (13). ثم يذكر الأحاديث النبوية الخاصة بماء زمزم:

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله (ﷺ) جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله (ﷺ) بشراب من عندها، فقال: "استقني" قال: يا رسول الله! إنهم يجعلون أيديهم فيه. قال: "استقني". فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها، فقال: "اعملوا فإنكم على عمل صالح" ثم قال "لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه" - يعني عاتقه .. وأشار إلى عاتقه. (14)

قال أنس بن مالك: كان أبو ذر رضي الله تعالى عنه، يحدث أن رسول الله (ﷺ) قال: "فرج سقفي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام، ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي ففرج بي إلى السماء الدنيا، قال جبريل لي يا ابن السماء الدنيا: افتح. قال من هذا؟ قال: جبريل". (15)

عن الشعبي أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، حدثه قال: سقيت رسول الله (ﷺ) من زمزم فشرب وهو قائم قال عاصم: فحلف عكرمة ما كان يومئذ إلا على بعير. (16)

واستناداً هذا الرأي، رأي العيني، يسوغ الاستدلال على أن هذه الأبيات موضوعة هذا بمعزل عن أن المعنى المطلق فيها على "زمزم والزمزمة" ليس الصوت بل دلالة الأزمة، أو دلالة التجمع، كما شرح البتوني في كلمة "زمزم". (17)

ثالثاً: مما يجب ملاحظته أن نسبة الزمزمة إلى الجوس ليست من باب المديح، لا بل من قبيل السخرية - على مثال ما يفعل أبناء كل لغة بالإغراب الذين يسيئون التكلم بها - والزمزمة مرادفة للوطانة. وهذه

تدل على الكلام الاعجمي، والرطيني هي الكلام غير المفهوم و "رطن" الثلاثي صادر عن الثنائي "طن طنيناً": صوت الذباب أو غيره، أو صوت الطست والناقوس⁽¹⁸⁾ - وكله لا ينسب الى الناس. اذن اسم "زمزم" لا يأتي من زمزمة الجوس.

الخلاصة

خلاصة لما ذهبنا هل أن معنى الاسم هو ناجم عن "زمزم" العرب ؟ الجواب: نعم. أولاً: أن العرب هم الذين أطلقوا هذا الاسم على البشر، وذلك اعتماداً على الحديث القائل بأن الماء تبع أو انجس أو زم أمام اسماعيل وأمه هاجر بغمز عقب جبرائيل. وهذا موافق لمعنى "زم" الدال، كما رأينا أعلاه، على الشدة والارتفاع والامتداد والتفجر. ثانياً: تحققنا أن "زم" يعني الشدة الحاصلة عنها الملوحة والحال عرفنا من شهادة البتتوني، وقبله، من شهادة المعري، أن ماء زمزم مالح ثالثاً: ان "زمزم" يعني الماء الكثير الغزير، وهي خاصية البئر زمزم" فان ماءها وافر.

(References)

- (1) . الأب أ. س. مرمجي الدومنيكي، هل العربية منطقية، مطبعة المرسلين، جولية - لبنان 1971م. ص/65، هنري س. مجبودي، ومعجم الحضارات السامية، ط ٢، بيروت ١٩٩١م. ص/444.
- (2) . المصدر نفسه: ص/65-66.
- (3) . الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، طبع في مطابع الرسالة الكويت، 1400هـ - 1980م: 7/351
- (4) . ابن منظور الأفرقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1956م. "زمزم" ١٢/٢٧٢ - ٢٧٥.
- (5) . عمرو بن عثمان أبو بشر، كتاب سيبويه، ط 3، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣م. 85/4.
- (6) . ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط 4، مشروع النشر العربي - المشترك - الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1990م. 155/2.
- (7) . محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، اعتنى به واعدته للنشر الدكتور محمد محمد تامر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2004. 369/3-370
- (8) . أبو الوليد الأزرقي، اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشيد الصالح، دار الاندلس، مطابع مائتو كرومو ش م، مدريد. 39/1 وما بعدها.
- (9) . محمد لبيب البتتوني، الرحلة الحجازية، مصر 1329هـ - 1911م. ص/113
- (10) . البتتوني: ص/178

-
- (11) . البتتوني: ص/127
- (12) . ساند بكداش، فضل ماء زمزم، دار البشائر الإسلامية، ط 10، بيروت - لبنان، ص/244.
- (13) . الإمام بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، تقديم محمد أحمد العلاق، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط 1، 2003م. 9/ 402.
- (14) . محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، باب سقاية الحاج، 156/2، رقم الحديث: 1635
- (15) . المرجع نفسه، باب ما جاء في ماء زمزم، 156/2، رقم الحديث: 1636
- (16) . المرجع نفسه، رقم الحديث: 1637
- (17) . البتتوني: ص/113
- (18) . لسان العرب: طنن.